الغنى والفقير

للكاتب الفرنسي لابرويير

بقلم الأديب يوسف جوهر

جيتون لامع البشرة، طلق المحيا، ممتلىء الخدين، عينه حادة مقتحمة، ومنكباه عريضان، وصدره منصوب ومشيته مزهوة مختالة، يتكلم باعتداد، ويستعيد من يحدثه، ثم لا يكاد يسيغ مايفضي به إليه. يخرج منديلاً فخماً ويفرغ أنفه في جلبة شديدة، يبصق بعيداً، ويعطس عالياً جداً؛ ينام في الليل وينام في النهار، ويغط في المجتمعات؛ يشغل من المائدة وفي المجالس مكاناً أكثر من غيره؛ يكون وسط زملائه عند ما يتنزهون، يقف فيقفون، يستأنف السير فيسيرون؛ يقاطع ويخطىء من يتكلمون ولا أحد يقاطعه، ويصاخ السمع لحديثه مهما أطال الكلام؛ كل الناس من وجهة نظره، والجميع يصادقون على مايرويه؛ إذا جلس تراه قد استلقى في كرسيه ووضع ساقيه الواحدة على الأخرى، وقد عقد جبينه وخفض قبعته على عينه حتى لايرى أحداً، أو يجذبها عن جبهته ليُرى كيف تكتسي بالعنوّ والصلف. هو مهذار ضحوك سريع الضجر، معتدّ بنفسه غضوب، جريء على المنتقدات، سياسي. وهو كتوم لشأكل الساعة؛ وهو يعتقد في نفسه العبقرية وقوة العقل. ذلك لأنه غني...

* * *

لفيدون عينان غائرتان، ولون محترق، وأعضاء يابسة، ووجه نحيل؛ ينام قليلا، ونومه خفيف جداً. هو مهموم مشدوه كأنه صاحب ذهن بليد، فهو ينسى أن يقول ما يعرف أو يتحدث عن الحوادث التي يعلم، فإذا ما جازف أحياناً روى بركاكة. يعتقد أنه يثقل على من يتحدث إليه، ويتكلم باقتضاب وتهيب. يذهل عن الاصغاء فلا يناقش؛ يصفق ويبتسم لما يحدث به الآخرون؛ يجري ليؤدي لهم خدمات صغيرة، هو مجار متملق مطيع، هو كتوم لشئونهم حيّ، يمشي برفق وقلق كأنه يخشى أن يطأ الأرض؛ يسير وقد خفض عينيه لايجسر على رفعهما في وجوه المارة، ليس له بطانة لتستمع؛ يجلس خلف من يتحدث؛ يزن في نفسه مايقال ويتراجع إذا مارمقه أحد؛ هو لايشغل مكاناً ولا يملأ مقعداً؛ يسير وقد زوى كتفيه وأمال قبعته على عينه كي لايراه أحد؛ يختبئ ويتوارى خلف معطفه، تختفي عن عينه الطرقات والأروقة إذا ما ازدحمت بالناس لأنه لايجد وسيلة للمرور من غير أن يُعترض، والانسلال من غير أن يُرى، إذا مادعاه أحد للجلوس جلس على حافة المقعد؛ يتكلم خفيضاً في المناقشة ويتلعثم، غير أنه صريح فيما يختص بالشئون العامة، ناقم على الظروف؛ له فكرة غير متطرفة عن الوزراء والوزارة. هو لايفتح فمه إلا ليجيب؛ يسعل ويفرغ أنفه مستتراً بقبعته؛ يبصق فيكاد يلوث نفسه، ينتظر حتى يصير منفرداً ليعطس، فإذا ما اضطر عطس في غفلة من الجماعة؛ وهو لايساوي في نظر الناس لا تحية ولا ترحيباً. ذلك لأنه فقير...

يوسف جوهر

عبادة جديدة؟! [1]

للأستاذ سيد قطب

لك ياجمال عبادتي ... لك أنت وحدك ياجمال
تُعصى تعاليمُ الطغا ... ة، أو الهداة على ضلال
ويخالَف التشريع جهـ ... ـراً، أو خفاءً في احتيال
وتجانَبُ الأديانُ أو ... تُنسى وتهجرُ عن ملال
وأراك وحدك ياجمال ... تَلقى الخضوعَ والاحتفال
والحبَّ والإيمانَ من ... كل الأنام بكل حال!

* * *

المال معبود الحيا ... ة المستذل قوى الرجال
هو بعض قربان النفو ... س إلى مقامك في ابتهال
وأرى الألوهة فيك تو ... حي بالعبادة في جلال
ما أنت إلا مظهـ ... ـر منها تُوشّيه الظلال
فإذا عبدتك لم أكن ... ياحسن من أهل الضلال
بل كنت محمود العقيـ ... ـدة في الحقيقة والخيال
أعنو لمن تعنو له ... كل النفوس بلا مثال
متفرقاً في الكون في ... شتى المرائي والخلال
فإذا تركز ها هنا ... بَطَلَ التحمل والجدال!

(١) من ديوان «أصداء الزمن» يصدر أول ديسمبر